ثقافة التسامح والتعايش مع الآخر:
الثقافة بين التنوير والتكفير

أ.د. صالح خليل أبوأصبع

2015

أولاً. مدخل

نعيش أجواء الاقتتال والتوتر وعدم اليقين والشك وعدم التسامح والتعصب الفكري والقبلي والطائفي وعدم الثقة وفقدان الشعور بالأمان والأمن الاجتماعيين ... نعيش ذلك مع فقدان القدرة على التواصل مع بعضنا مع البعض الآخر بطريقة فعالة . أطياف المجتمع تعيش في حالات جزر منعزلة .. شرائح المجتمع المتنوعة :العمال، أصحاب أعمال، المعلمون ، المزارعون ، البدو الجنود / الضباط ..المرأة والرجل الشباب والشيوخ الخ إنها فوارق ليست اقتصادية وليست مراكز اجتماعية فحسب .. إنها حواجز ثقافية واتصالية تحيلنا في الوطن العربي إلى ظرف استثنائي يغمره الاقتتال والدمار .

ولم تفجر دولة الخلافة الإسلامية المساجد والكنائس والمقامات الدينية فحسب بل فجرت معها في المجتمع العربي والإسلامي حالة التنوير.

فالتنوير ليس ظرفاً استثنائياً إنه حالة وعملية تنبع في المجتمع من خلال المعاناة والنضال وأداته العلم والبحث العلمي وحرية التفكير والعقيدة ، فكما حصل في الغرب كان التنوير تتويجاً لنضالات من أجل سيادة العقل والمساواة والتسامح واحترام كرامة الإنسان والحقوق وحرية الفكر والمعتقد.

هذه حالة عرفتها المجتمعات الإسلامية في ظل الخلافة الأموية والعباسية، وعرفتها الأندلس. وكنا فنجد أخلاطاً من الأجناس والمعتقدات تتعايش معاً ، ويتبوأ فيها أفراد من أديان واصول مختلفة مراكز مرموقة في تلك المجتمعات .

وما كان للنهضة التي نفتخر بها في تاريخنا الإسلامي مردّه إلى الدين كعقيدة فحسب، بل يعود إلى ما وفّره هذا الدين من التسامح وحرية الفكر والمعتقد في عيش

مشترك ، مما أتاح نقل العلوم والفلسفات عن اليونان والهند وغيرهما دون أي حرج، لتكون الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى هي قمة الحضارة الإنسانية التي كان الأوروبيون إليها يرنون ويتعلمون لغتها وينقلون تراثها.

والذي يجري في الوطن العربي من مظاهر التكفير اليوم لا يمكن أن نفهمه دون معرفة الظروف التي آلت إليه من حالة الإرباك الفكري والتعصب والإقليمية والطائفية والعشائرية.

إن نظرة إلى ستينيات القرن العشرين تحيلنا إلى مجتمعات عربية تمور بالحلم القومي في النهوض والعدالة والحرية والوحدة وتحرير فلسطين. مجتمعات عرفت تأسيس العديد من الجامعات العربية ، وشهدت نهضة علمية وفرت المدارس والجامعات التي أصبحت متاحة لعامة الناس، وشهدت نهضة صحفية وإعلامية واسعة ، وشهدت نهضة فنية كبيرة في مجالات المسرح والسينما والفن التشكيلي والموسيقي والغنائي ... وقادت جميعها إلى حركة تنوير شاملة في المجتمعات العربية. وأتاحت ثقافة التنوير هذه المجال لكل الأفكار والأيدولوجيات أن تتواجد وأن تتعايش معاً ، وكانت الخلافات الفكرية والحزبية ليست سبيلا للتناحر بل للتنافس . وكنا نجد في الأسرة الواحدة الاشتراكي، مع أخ مسلم مع القومي، ويعيش في الحي الواحد المسلم بجانب المسيحي، لا شيء كان يدعو إلى التناقض أو الصراع ، كان المجتمع فيه لحمة الانتماء إلى الوطن ، ومعتقدات الفرد وأفكاره تخصه وحده ،فالدين للّه والوطن للجميع.

أظن ان هزيمة حزيران كانت مفترق الطرق، وكانت بداية التمزق في المجتمعات العربية.. ليس فقط لأن الهزيمة حطمت الأحلام العربية في التحرير والوحدة ، بل لأنها ايضاً هزمت الأيدولوجيات السائدة ، وكرست مفاهيم السلطوية في المجتمعات التي لا تتيح الفرصة للتعبير عن الرأي ، وتخنق بذور الديمقراطية في المجتمعات ، ولذا كان نمو الفكر الديني الأصولي نمواً سريعاً ، للبحث عن خلاص يستند إلى فكرة أن الرجوع إلى كتاب اللّه سوف يكون هو السبيل للخروج من أزمة المجتمعات. ولقيت هذه الحركات الإسلامية دعماً رسمياً من الحكومات بطريق مباشر أو غير مباشر ، كان هذا واضحاً في مصر في عهد السادات الذي لقب نفسه بالرئيس المؤمن ، وكان هذا واضحاً في الأردن

حيث أتيح لحركة الإخوان المسلمين فرصة لم تتح للأحزاب الأخرى حرية الحركة الجماهيرية ، بل أتيح لها الدخول إلى وزارة التربية والتعليم واستلام زمامها لعدة عقود[1].

وكانت الأنظمة السياسية العربية تنظر بعين الشك والخوف من القوى الراديكالية اليسارية والقومية والاشتراكية التي كانت لها برامجها الفكرية والسياسية التي كانت تتناقض مع الواقع القطري والمشاريع السياسية للأقطار العربية . وعلى هامش القوى الإسلامية الرئيسية والقوى الراديكالية ، كانت تنمو قوى دينية متعصبة لا تقرأ الدين بعين العصر الذي تعيشه ، قوى وجدت من يُسهّل وجودها ومن يدعمها مالياً ، ليست في حقيقتها خدمة للدين بل لتحقيق أجندات سياسية ، في ظل ظروف قمعية تعيشها المجتمعات العربية ، مجتمعات يعشعش فيها الفساد والوساطة والمحسوبية والظلم الاجتماعي ، مجتمعات تنعدم فيها الديمقراطية وتزيف فيها الانتخابات وينجح فيها الحاكم بنسبة 99٪ ، ويظل الحاكم الجمهوري على الكرسي إلى أن يموت أو يُنتَزع منه انتزاعا ، ويسعى لتوريث الحكم لأبنائه ، شهدنا هذه الحالة في سوريا وكانت تسير مصر وليبيا واليمن على نفس الخطى.

لقد كانت الحالة العربية مهيأة للبحث عن حلول، وكانت هذه الحالة مهيأة أيضاُ لتنفيذ المخططات الغربية -وتحديداً الأمريكية -لتمزيق الوطن العربي الممزق إلى كيانات أكثر تمزيقاً ، وكان من السهل اختراق الحالة العربية من قبل الغرب ، بدعمهم القوى التي تعمل على إذكاء الصراعات الطائفية ليبرز على السطح تمزيق وحدة الدين الواحد ، وليصبح الصراع في بعض مظاهره ليس صراعاً على السلطة ، ولكنه صراع على صحة العقيدة لدى جميع مكونات المجتمع الشيعة والسنة والعلويين، والأزيديين والمسيحيين والأكراد والأمازيغيين ...ألخ

هكذا يتمزق المجتمع بينما ينعم الكيان الصهيوني بالراحة ، ويعمل على تقسيم المسجد الأقصى وبناء الهيكل والعرب يتفرجون ..

[1]استلم حقيبة وزارة التربية العديد من الإسلاميين منهم الدكتور اسحق الفرحان (1973)و الدكتور عبدالله العكايلة (1991) من حركة الإخوان المسلمين و الدكتور محمد الذنيبات (2013)من حزب الوسط الإسلامي.

هكذا أصبح تكفير القوى التي تخالف داعش وجبهة النصرة وأحرار الشام مثلاً مبرراً لقتل كل من يختلف معهم ،أو يختلف عنهم ، او يخالفهم الراي .، وكأنهم لم يقرأوا قول رسول الرحمة ﷺ حين بعث جيشًا : **(انطلقوا باسم اللّه، لا تقتلوا شيخاً فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن اللّه يحب المحسنين)**

وكأنهم لم يقرأوا وصية الخليفة أبي بكرٍ الصدّيق رضي اللّه عنه عندما وجَّهَ قائدَ جيشِه إلى بلادِ الشامِ أسامةَ بنَ زَيْدٍ رضي اللّه عنهما ، التي جاء فيها :**(أيُّها الناسُ ! قِفُوا أُوْصِيكُمْ بعَشْرٍ، فاحْفَظُوها عنّي :لا تخونُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتُلُوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تَعْقِروا نخلاً ولا تُحْرقُوه، ولا تَقْطَعوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، ولا تَذْبَحُوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لَمأكَلَةٍ. وسوفَ تمرُّونَ بأقوامٍ قد فرَّغُوا أنفسَهم في الصَّوامعِ، فدعوهمْ وما فرّغُوا أنفسَهم له، وسوف تَقْدَمُون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعامِ، فإذا أكلْتُمْ منها شيئاً بعدَ شيءٍ، فاذكُروا اسمَ اللّهِ عليها..)**

ثانيا.مفهوم الثقافة:

مصطلح الثقافة من المصطلحات التي تحمل دلالات تتصف بالعمومية حيناً وبالخصوصية حينا آخر، وتتراوح بين الدلالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية للثقافة والدلالات الأدبية للمصطلح.

وقد لاحظ د. مصطفى حجازي أن مفهوم الثقافة يخرج بمعان ثلاثة أساسية: معنى لغوي، آخر فكري، وثالث اجتماعي. وقد تبنى د. مصطفى حجازي تعريف تايلور Taylor للثقافة بمفهومها الاجتماعي الواسع وهو أكثر التعريفات شيوعاً في الدراسات الانثروبولوجية، وهذا التعريف يرى أن الثقافة "هي تلك المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحق والأخلاق والأعراف وكل الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع".[2]

ويخلص د. مصطفى حجازي ورفاقه إلى أن الثقافة هي: "..... مجمل ما يقدمه المجتمع لأبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات وعلاقات وأدوار وتقنيات كي يتعلموها

2د. مصطفى حجازي وآخرون "ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة" (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990) ص 19.

ويتكيفوا معها، فهي نمط معيشة للجماعة لا أكثر ولا أقل. إنها طريقة ائتلاف هذه العناصر معاً كي تكون كلاً يعطي للجماعة طابعها المميز، وكياناً من أساليب السلوك والعلاقة والتعبير. ومع أن المقومات الأساسية للثقافة متقاربة في مختلف المجتمعات إلا أن هناك اختلافاً في التآلف يعطي بنى مختلفة ومتفاوتة في درجة تعقيدها، وهو ما يميز ثقافة عن أخرى[3].

وتتكون الثقافات من ممارسات ومعتقدات دينية وتربوية وغذائية وفنية ولعبية ، وتتعلق كذلك بقواعد تنظيم القرابة والعائلة والتجمعات السياسية ، وتحتل فيها الممارسات والمعتقدات المرتبطة بالجسد والصحة والمرض موقعاً هاماً . ويتطلب نقلها واستيعابها وقتاً كافياً . إنهما يتطلبان وقتاً كثيراً [4].

وكما يرى الباحثان هيرسكوفتز Herskovitsورفيقه باسكوم Bascom"أن الثقافة لا تضم فحسب المؤسسات الاجتماعية وأشكال السلوك المكتسب التي تنبثق منها، بل تضم أيضاً تلك المظاهر من قوى الإنسان الخلاقة، التي تُمكِّن الفنان من انتاج شيء جديد متميز ينفرد في انتاجه ضمن نطاق الأشكال والأنماط التي تعتبر جزءاً من تقاليده، وتُمكِّن الفيلسوف أو الكاهن من التوفيق بين التناقضات الظاهرية في المعتقدات الدينية، وتُمكِّن الراوي من الاهتداء إلى نقطة تحول جديدة في موضوع أحدى القصص المألوفة، وهي التي تُمكِّن المخترع من إدخال تغييرات تكنولوجية تستند إلى معارف سابقة. ولا تقتصر الثقافة على المؤسسات التي تتحكم في ردود فعل الإنسان تجاه زملائه في المجتمع، وإنما تتناول أيضاً أوجه السلوك الإنساني الخارجة عن نطاق المؤسسات كاللغة، والعلاقة بين اللغة والسلوك، والعلاقة بين الشخصية والثقافة، ونظام القيم الذي منح دلالته لطرق السلوك المقبولة عند أي شعب من الشعوب."[5]

ثالثا. مفهوم التنوير

3. د. مصطفى حجازي وآخرون المصدر نفسه ص . -21

4(جان بيير فارنيي عولمة الثقافة ، ترجمة : عبد الجليل الأزدي ، الدار المصرية اللبنانية . الطبعة الأولى – يناير 2003 - ص 20)

[5]هيرسكوفتز وباسكوم "مشكلة الاستقرار والتغيير في الثقافة الافريقية" في كتاب "الثقافة الافريقية: دراسات عناصر الاستمرار والتغيير" وليم باسكوم وملفيل سكوفتز (محرران)، ترجمة عبدالملك الناشف (بيروت – المكتبة العصرية 1966) ص 22.

إن التنوير حركة مجتمعية تُعبِّر عن حالة فكرية، تسود مجتمعاً ما ، تستند إلى العقل والعلم والمساواة والحرية والعدالة والتسامح . ويعبر مصطلح التنوير عن حقبة كما يعبر عن حركة فكرية وكما يعبر عن أدوات ، ومن ناحية زمنية قد يكون حالة مؤقتة أو حالة مستمرة .. . ويوجد التنوير في كل مجتمع، **فالتنوير**كما يرى حسن حنفي " يظهر كاتجاه في كل حضارة، وليس خاصاً بالحضارة الأوروبية وحدها، بل إنه يمكن القول إن التنوير في الحضارة الأوروبية تراكم تاريخي طويل صبت فيه إبداعات الأمم السابقة عبر التاريخ. ثم ذاع من خلاله نظراً لحداثته وانتشارهولمركزيته واستعماره وهيمنته، ومحاولته القضاء على ثقافات الأطراف. فنسي الناس تاريخ التنوير وأنه حركة موجودة لدى كل شعب، وفي كل حضارة ،بعد أن أصبحت الحضارة الأوروبية هي ممثلة الحضارات الإنسانية كلها[6].

أ-التنوير في الغرب

ارتبط التنوير في الغرب بسيادة العقل والنهوض بالمعرفة وترويج العلم ، وإصلاح المجتمع، والتجريبية والصرامة العلمية. والديمقراطية والمساواة والحرية الشخصية والحرية الكاملة في التفكير والتعبير، والحد من السلطة الدينية، والفصل الكامل بين الكنيسة والدولة، وإزالة تجاوزات الحكومة ، وكسر الدائرة المقدسة المتمثلة بالعلاقة المترابطة بين الارستقراطية الوراثية وقيادة الكنيسة التي منحت الحق الإلهي للملوك في الحكم. مما منح الملك صفة الحكم الإلهي ، باعتباره حاكماً مطلقاً يتمتع بهالة من القدسية والاحترام الديني، ويمتلك سلطات غير محدودة.

ويرى**حسن حنفي** أن التنوير " موقف فلسفي يقوم على عدة مفاهيم رئيسية تنتظم فيما بينها في تصور واحد للعالم مثل: العقل، والطبيعة، والإنسان، والحرية، والمساواة، والتقدم. فالعقل ضد التقليد الموروث من أجل إفساح المجال للإنسان لتأسيس نظرية جديدة للمعرفة تقوم على استقراء قوانين الطبيعة ،والاعتماد على الحس والتجربة بعد أن لم تثبت المعارف الموروثة القديمة من الكنيسة وأرسطو أمام النقد العقلي العلمي الحديث. والطبيعة كتاب مفتوح ضد الكتاب المغلق، الموسوعة القروسطية والأرسطية.

6حسن حنفي التنوير وتراث العالم: جريدة الاتحاد- أبوظبي: السبت 09 مارس 2013
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=71279

لها قوانينها الثابتة ونظامها الحتمي. هي مصدر كل علم ومعرفة. إليها يتوجه العقل ليستقرئ قوانينها بدلا من استنباطها من عقائد نظرية ومذاهب موروثة أو نصوص مكتوبة سلفاً. والإنسان مركز الكون وله الخلافة في الأرض والوراثة للصلاح. وهو خالق أفعاله، حر مختار مسؤول، قادر على التمييز بين الخير والشر. ثم تتحقق حريته في المجتمع في النظام الديمقراطي الذي تتحدد فيه سلطة الحاكم بالمحكوم عن طريق العقد الاجتماعي. فالحاكم يحكم باسم الشعب، باسم الأمة"[7].

ب -التنوير عند العرب

عرف الوطن العربي بوادر التنوير في مطلع القرن التاسع عشر نتيجة عوامل مختلفة أهمها الاتصال المباشر بالغرب- عن طريق البعثات التعليمية وحملة نابليون على مصر والارساليات التبشيرية - ودخول المطبعة وانتشار المدارس والصحافة خصوصاً في مصر وبلاد الشام وتونس.

وكانت حركة التنوير حركة فكرية تستهدف تحقيق تقدم الإنسان العربي في جميع المجالات السياسية والفكرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، لتحقيق نهضة تضمن حرية الانسان وتحرير فكره وإرادته وخياراته وتمكين سيطرة العقل على جميع مناحي الحياة ، لتحقيق والحرية والديمقراطية والعدل والمساواة.

وحصلت البلاد العربية في القرن العشرين على استقلالاتها ، وشهدت حركات تنويرية مع انتشار التعليم الأساسي والجامعات ووسائل الإعلام الجماهيرية على الرغم من حركات الجذب العكسي بالارتداد إلى الماضي عبر مقولة ليس في الإمكان أبدع مما كان .

وحينما عبر الوطن العربي إلى القرن الحادي والعشرين بات المرء ينظر إلى واقعه متحسّرا وآسفا وهو يراه يرتد إلى الخلف بعوامل داخلية وخارجية، إذ يشهد التعليم على الرغم من انتشاره مستويات متدنية من المخرجات سواء في التعليم المدرسي أو الجامعي.، ويشهد كذلك تراجعاً في الاهتمام بالعلوم الطبيعية والفلسفة ، ويعاني من

[7]حسن حنفي التنوير المصدر نفسه

قمع الحريات الشخصية والفكرية مما يشير إلى أن أساسيات النهضة والتنوير باتت في تراجع. إذ أن هذا التقهقر ابتدأ في الثلث الأخير من القرن العشرين وما زال مستمرا.
وقد اهتم الرواد الأوائل للنهضة بقضية الحرية والنهوض الفكري أمثال رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الافغاني وقاسم أمين وخير الدين التونسي والكواكبي وأديب اسحق وشبلي الشميّل ... وغيرهم .
لقد قام رواد التنوير هؤلاء بخوض معركة التجديد في المجال الديني و السياسي، ليواجهوا السلطة السياسية المستبد ة من الرؤساء القساة الجهلاء وسلطة المحافظين من العلماء الغفل الأغبياء حسب تعبير الكواكبي في كتابه «طبائع الاستبداد »

رابعا. ثقافة التكفير

- **أ -ثقافة التكفير وتجاهل أسس التسامح في الإسلام**

تنبع ثقافة التكفير من تحجر في فهم البعض لنصوص الفكر الديني إذ اعتمدوا حرْفية التفسير. ويرى أحد الباحثين أن: "إن انبعاث جماعات تكفيرية مثل داعش ليس سببه وجود نص تراثي يعزز اتجاه التكفير، بل وجود ظروف سياسية واقتصادية تجعل من توظيف هذا النص، ومن التحشيد والتعبئة عبره، أمراً ممكناً. لكن هذا لا ينفي أهمية دراسة المكون الإيديولوجي لداعش، وفهم الارتباط بينه وبين الوهابية، لفهم سلوكيات وممارسات هذا التنظيم، وطبيعة التأصيل العقائدي للعنف الذي يمارسه، من دون الوقوع في شَرَك اعتبار العنف ظاهرة سلفية وهابية، وتناسي دوافع العنف المختلف[8].

واليوم يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام و تنظيم "جبهة النصرة"، ممثلين للفكر السلفي الجهادي التكفيري، وهما من أكثر تنظيمات الحركات الإسلامية عنفاً في تاريخنا المعاصر . ويعتمد خطابهما الديني المتعصب بالتوجه إلى طائفة السنة. كما يتبنيان العنف والإرهاب كنهج لتحقيق أهدافهما.
ورغم تقاسمهما لنفس المرجعية الأيديولوجية المتطرفة، إلا أن تنظيم "النصرة" يتهم مقاتلي "داعش" بالتشدد في تطبيق الشريعة، وقد تحولت خلافاتهما إلى حرب طاحنة

[8]بدر الإبراهيم : داعش والوهابية والتكفير الاختلاف والتشابه
http://www.al-akhbar.com/node/214666

بينهما. ولم يستثن تعصب "داعش"، حتى حلفائها الموضوعيين في الأزمة السورية مثل "الجيش السوري الحر" الذي كفره التنظيم واتهمه بالارتداد عن الدين الإسلامي.9 إن التكفير والحكم بالردة موجود عند تنظيم داعش، خصوصاً لمن يختلف معه أو يخرج على الطاعة المطلقة لقيادته، وقامبالتقتيل دون رحمة لكل من يخالفه وكانت بعض مجازره قتل المئات من عشائر البونمر السنية ، وكان قد فعل مثل ذلك بأفراد قبيلة الشعيطات في دير الزور.

ويرى الكاتب السعودي بدر الإبراهيم أن " التكفير هنا هو دافع للقتال، والارتباط وثيق بين التكفير والقتال في الخطاب الوهابي، فتكفير أهل مدينة أو قرية موجب لقتالهم، كي يخضعوا للدولة الممثلة للتوحيد، وهذا أمر يتبناه داعش بلا مواربة. والقتل لم يكن فقط في الحروب ضد مخالفي الوهابية، بل تجاوزه إلى عمليات اغتيال لشخصيات معينة في غير أوقات الحرب، كاغتيال أمير بلدة العيينة عثمان بن معمر وهو في مسجده بعد أدائه صلاة الجمعة، بسبب الاشتباه بتآمره على الدعوة الوهابية، رغم أنه كان في الظاهر حليفاً، ويُذكر هذا بالاغتيالات التي يقوم بها داعش تجاه من يعتبرهم صحوات، ويشتبه بأنهم يتآمرون عليه، وإن كانوا من صفه. ولا يتوقف الأمر على استحلال الدماء، بل حتى أموال الكفار مستحلة، أي أن التكفير يشرعن سرقة مال من يتم تكفيره[10].

ويرى علي أنوزلا في مقالته البحث عن جذور فكر داعش" في التاريخ الإسلامي هل مهدت "الوهابية" الطريق لصعود فكر "داعش" التكفيري أن هناك أوجه شبه ما بين النهج العنيف الذي كانت تتبعه هذه الحركة "الوهابية" بعد تحالفها مع آل سعود لفرض وجودها، وما بين العنف الذي يتبناه تنظيم "داعش" لفرض أفكاره وبسط نفوذه. فما تشهده اليوم مدن العراق وسوريا من تدمير للمساجد والحسينيات الشيعية وللمزارات والقبور الصوفية، ومن محاكمات شرعية تقيم الحدود وتنفذ الإعدامات الجماعية العشوائية، نكاد نجد شبيها له في تاريخ حركة آل سعود المسنودة بالفكر الوهابي، ما

[9] علي أنوزلا البحث عن جذور فكر داعش" في التاريخ الإسلامي هل مهدت "الوهابية" الطريق لصعود فكر "داعش" التكفيري؟14.08.2014
Source URL: http://ar.qantara.de/content/lbhth-n-jdhwr-fkr-dsh-fy-ltrykh-lslmy-hl-mhdt-lwhby-ltryq-lswd-fkr-dsh-ltkfyry

[10] بدر الإبراهيم : مصدر سبق ذكره

بين عامي 1904 و 1925، حيث قاموا بتدمير مقابر أهل البيت، وصحابة الرسول محمد، واجتثوا المساجد وبيوت الأولياء، ودكوا القباب والمزارات.[11]

ويؤكد بدر الإبراهيم وجود الصلة بين فكر داعش الذي يمثل العودة إلى أصول الوهابية، ولكنه يرى أنه يناقض بشكل حاد الدولة السعودية الحالية، وهو ما يجعل التحليلات حول ارتباط داعش بالسعودية، أو ولادة التنظيم من رحم المؤسسة الدينية الحالية في السعودية، أمراً خالياً من الصحة، فالتنظيم يعتمد على المبادئ التي يعتقد أن الدولة السعودية قد التفّت عليها، وينظر للسعودية نظرته لكل الدول المنحرفة عن تطبيق الشريعة، لذلك تنظر السعودية كغيرها من دول الإقليم إلى التنظيم بقلق، وهي تتأهب لمواجهته. **الصراع مستمر بين وهابية تسير وفق مقتضيات الواقع، وأخرى تعود إلى الأصول لتهاجم الواقع[12].**

- **ب- سلوكيات متطرفة و فتاوى تكفيرية للمتشدّدين التكفيريين :**

تستمدّ داعش روحها العدوانية من فتاوى دينية متطرفة وشاذة ، التي تعود إلى شيوخ متطرفين في العديد من بلادنا العربية والإسلامية تلك التي ترجع إلى كتب تراثية مثل كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية، ويتم ترويجها في الفضائيات الدينية التي بلغ عددها نحو مئة محطة فضائية ، ويمكننا تتبع سلوكيات و فتاوى تكفيرية للمتشدّدين التكفيريين في عدة مجالات :

1. السبّ والقذف والطعن في حق علماء الأمة ومفكريها قديما وحديثا.
2. عدم احترام المتشددين وأتباعهم المذاهب الأربعة .
3. رفضهم للتصوف وتكفيرهم له بلا تفريق بين الصوفية السنية والصوفية فلسفية
4. العداء للأزهر: فهم ينتقدون العقيدة الأشعرية التي يدرسها الأزهر من ألف عام، وينتقدون طريقة تدريسه للفقه القائمة على تعدّد المدارس الفقهية، ينتقدون احتضان الأزهر لجميع المذاهب الفقهية.
5. هدم المساجد وبيوت الأولياء، والقباب والمزارات

11علي أنوزلا : مصدر سبق ذكره

12 بدر الإبراهيم : مصدر سبق ذكره

6. الاعتداء وتقتيل كل من يعارضهم من المسلمين الشيعة والمسلمين السنة العرب والأكراد والمسيحيين والأقليات الأخرى،
7. بيع النساء والأطفال في أسواق نخاسة
8. فتاوى شيوخهم ضدّ المسيحيين:

أ. تحريم بناء الكنائس

ب. فرض الجزية

ج. تحريم إلقاء السلام على المسيحيين ومجاملتهم في أعيادهم

د. تحريم الوظائف الهامة عليهم

ونورد هنا أبرز الممارسات المتطرفة الشاذة والمجازر الوحشية وعمليات الإبادة التي ارتكبها التنظيم، ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي هي:

1. تفجير داعش وهدمها لأضرحة الأنبياء، وتدمير مراقد الرموز الدينية قبور الأنبياء وقبور الصحابة والصالحين والمساجد الملحقة بها
2. تكديس السجناء وتقييدهم من الخلف انتظارا لتنفيذ حكم الإعدام الجماعي بهم.
3. إ طلاق النار على المعتقلين بعد تكبيلهم. إطلاق النار على رؤوس المعتقلين ثم إلقاؤهم في المياه.
4. اقتياد عشرات الجنود لحفرة بالصحراء، وإعدامهم بإطلاق النار عليهم.
5. تدمير المتاحف التاريخية بدعوى أنها بدعة.
6. وارتكاب المجازر بحق الشبك والمسيحيين والأيزيديين وتهجير 4 آلاف عائلة مسيحية من الموصل، والاستيلاء على ممتلكاتهم بدعوى غنائم.
7. إضرام النار في دير "مار بهنام" الذي يعود تاريخه لأكثر من 1800 عام. وطرد راهبات الدير بملابسهن فقط والاستيلاء على كل ممتلكاتهن.
8. قتل 160 أسيرا شمال تكريت الشهر الماضي.إعدام 190 شخصا في تكريت أيضا بين 11 و14 يونيو.إعدام 175 جنديا عراقيا في تكريت أيضا في 22 يوليو.

9. استباحة داعش للمحرمات واستباحة نساء المغلوبين، أو الحوريات المرتقبات و بيع النساء السبايا.وتكشفت الوثيقة المختومة بشعار داعش، عن أن سعر المرأة الإيزيدية والمسيحية البالغة من العمر 30 إلى 40 سنة يصل إلى 75 ألف دينار، أما الأعمار من 20 إلى 30 يبلغ100 ألف دينار، ومن10 أعوام إلى 20 تبلغ قيمتها 150 ألف دينار، أما الطفلة من عمر سنة 9 سنوات فكانت الأعلى ثمنًا بـ200 ألف دينار
10. اقتراف مجازر بحق عشائر سنية في سورية والعراق مثل مجازر داعش بإعدام 700 من ابناء عشيرة الشعيطات في قرى شمال غرب مدينة البوكمال الواقعة على الحدود العراقية بريف دير الزور الشرقي . ومجزرة عشيرة البونمر في محافظة الانبار العراقية ومقتل أكثر من 300 شخصاً بينهم نساء وأطفال"،
11. استولى مسلحون من «داعش» على العديد من المصارف الحكومية والاهلية في مدينة الموصل وقاموا بسرقة ونهب وسلب ممتلكات مؤسسات الدولة المختلفة وسرقة المال العام بالاستيلاء على 500 مليون دولار كغنائم حرب بعد الاستيلاء على الموصل في 8 يونيو..
12. تهريب «داعش» لأكثر من 1400 محكوم بجرائم مختلفة من سجن بادوش في الموصل .
13. "مجزرة سبايكر" بجريمة العصر وجرح العراق النازف، التي كشف تنظيم داعش عنها بفيديو أظهر عملية إعدام 1700 طالباً وعسكرياً.
14. إغلاق المدارس في دير الزور بدعوى أن المناهج مناهج كفار لحين اخضاع المدرسين لدورات شرعية .

خامسا: ما هي الثقافة المطلوبة لتعميم ثقافة التنوير؟

أ-ثقافة التسامح والتعايش و ثقافة التنوير

ب- تعميم ثقافة الحوار و ثقافة التنوير

ج. ثقافة التفكير العلمي و التنوير

أ-ثقافة التسامح والتعايش بين ثقافة التنوير ثقافة التكفير

قامت ثقافة التكفير بتجاهل أسس التسامح في الإسلام المتمثلة بِما جاء في القران الكريم من آيات وما جاء في السنة الشريفة. ومما جاء في القران الكريم ما يلي :

1- رسَّخ الإسلام حرية العقيدة والتعايش السلمي بين الأديان بقوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) ويقوم هذا النداء على مبدأ الاعتراف بالآخر (لكم دينكم ولي دين)

2- رسَّخ الإسلام مفهوم أنَّ الديانات السماوية تستقي من مَعينٍ واحد فقال تعالى : (شرع لكم منَ الدِّين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه) .

3- رسَّخ الإسلام أنَّ الأنبياء إخوة، لا تفاضلَ بينهم مِنْ حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان بهم، فقال القرآن الكريم : (قولوا آمنَّا باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحَق ويعقوب والأسباط وما أوتيَ موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون مِنْ قبلهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون) .

4- لقد رسَّخ الإسلام أنْ لا إكراه في الدين: (لا إكراه في الدِّين قد تبيَّنَ الرُّشد منَ الغَيِّ فمَنْ يكفر بالطاغوت ويؤمنْ باللّه فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها) .

5- لقد رسَّخ الإسلام مفهوم احترام أمكنة العبادات على اختلاف دياناتها ، قال تعالى: (ولولا دفعُ اللّه الناسَ بعضهم ببعض لهدِّمتْ صوامعُ وبِـيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكَر فيها اسـم اللّه كثيرا) .

6-لقد رسَّخ الإسلام فكرة الجدل والحوار بالتي هي أحسن بين المسلمين وغيرهم ، قال تعالى: (ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحسن)

7- لقد رسَّخ الإسلام لدى المسلمين البِر بأهل الكتاب، وحُسْنَ ضيافتهم، قال تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتابَ حلٌّ لكم ، وطعامكم حلٌّ لهم.) .

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة ما يتعلق بأهل الذمة ما يلي :

8-لقد رسَّخ الإسلام أنْ لا عداوة بين المسلمين وبين غيرهم، وتركَ للّه أن يحكم بينهم يوم القيامة قال تعالى: (وقالت اليهود ليست النَّصارى على شيءٍ، وقالت النَّصارى ليست اليهود على شيءٍ، وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لا يعلمون مثلَ قولهم فاللّه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) .

9-ولقد عرف الإسلام أهل الكتاب باعتبارهم أهل الذمة وهذا يعني أن الإسلام يطالب التعايش معهم في سلام ويتحمل مسؤولية حمايتهم وضمان حريتهم في ممارسة ديانتهم (من آذى ذميا فقد آذى اللّه ورسوله)

10- عن أسامة - رضي اللّه عنه" - أن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين - عبدة الأوثان - واليهود فسلم عليهم النبي - صلى اللّه عليه وسلم .- "**متفق عليه.**

11-عن عبداللّه بن عباس قال :قال رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم لمُعاذِ بنِ جبلٍ حين بعَثه إلى اليمَنِ: إنك ستأتي قومًا من أهلِ الكتابِ ، فإذا جئتَهم فادعُهم إلى أن يَشهَدوا أن لا إلهَ إلا اللّهُ وأنّ محمدًا رسولُ اللّهِ ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبِرْهم أنّ اللّهَ قد فرَض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبِرْهم أنّ اللّهَ قد فرَض عليهم صدَقَةً ، تؤخَذُ من أغنيائِهم ، فتُرَدُّ على فُقَرائِهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائمَ أموالِهم ، واتقِ دعوةَ المظلومِ ، فإنه ليس بينه وبين اللّهِ حجابٌ . **(صحيح البخاري)**

12- عن عبداللّه بن عمر قال :سمِعْتُ رسولَ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم وهو قائمٌ على المِنبَر يقولُ): إنما بَقاؤُكم فيما سَلَفَ قبلَكم من الأُمَمِ، كما بينَ صلاةِ العصر إلى غُروبِ الشمسِ، أُعطِيَ أهلُ التوراةِ، فعمِلوا بها حتى انتصَف النهارُ ثم عجَزوا، فأُعْطوا قِيراطًا، ثم أُعطِيَ أهلُ الإنجيلِ، فعمِلوا به حتى صلاةِ العصر ثم عجَزوا، فأُعطوا قِيراطًا، ثم

أُعطيتُمُ **القرآنَ**، فعمِلتُمْ به حتى غُروبِ الشمسِ، فأُعطيتُمْ قِيراطَينِ . قال أهلُ التوراةِ : ربّنا هؤلاءِ أقلُّ عمَلًا وأكثرُ أجرًا ؟ قال : هل ظلمْتُكم من أجركم من شيءٍ ؟ قالوا : لا، فقال : فذلك فَضلي أُوتيهِ مَن أشاءُ. **(صحيح البخاري)**

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة ما يتعلق بحرمة دم المسلم ما يلي :

13- عن أبي هريرة، عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال " :المسلمُ أخو المسلمِ لا يخونُهُ ولا يَكذِبُهُ ، ولا يخذلُهُ ، كلُّ المسلمِ علَى المسلمِ حرامٌ : عِرضُهُ ومالُهُ ودمُهُ .التّقوَى ههُنا . بِحسبِ امرئٍ منَ الشّرّ أن يحتقِرَ أخاهُ المسلم "صحيح – الألباني

14- عن ثابت بن الضحاك، عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال): من حلَفَ بملّةٍ غير الإسلامِ كاذِبًا فَهوَ كما قالَ ، ومن قتلَ نفسَه بشيءٍ عُذِّبَ بِه في نار جَهنّمَ ، ولعْنُ المؤمنِ كقتلِهِ ، ومن رمى مؤمنًا بِكفرٍ فَهوَ كقتلِهِ(رواه البخاري)

15-عن عبداللّه بن عمر ، عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال: المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته (صحيح البخاري)

16- عن عبداللّه بن عباس ، عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال) :*أبغض الناس إلى اللّه ثلاثة* : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه .(صحيح البخاري)

والتسامح هو مطلب إنساني عالمي تجلى في إعلان المبادئ بشأن التسامح الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995

وجاء في المادة الأولى منه : "إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد. وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا، والتسامح، هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب، ... ولا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا

تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها. بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم.
والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيس بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضا أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض علي الغير.[13]

ب- تعميم ثقافة الحوار و ثقافة التنوير

عملية الحوار بحد ذاتها عملية "حضارية ". إذ يخلق الحوار بيننا كمجتمعات. الانخراط في حوار حقيقي يخلق في المجتمع المدني ويعزز قيم بناء الثقة والاحترام والشعور بالألفة والراحة والتعاون بعضنا مع البعض الآخر ومعرفة كيفية إنشاء أرضية مشتركة تجمع أفراد المجتمع .
ومع غياب الديمقراطية في مجتمعاتنا العربية أصبحت الحاجة ماسة إلى حوار فعال بين الناس يكون فيه جميع المشاركين على قدم المساواة، ويستمعون لبعضهم باحترام و تعاطف، وتبحث الأفكار بصراحة ودون إصدار أحكام. وهكذا يصبح الحوار هو الاستجابة للتعامل مع مختلف التطورات والمتغيرات ، و هو الأكثر فعالية في احتواء خلافات الناس وصياغة الأطر المرجعية المشتركة بينهم .
واليوم نجد في الوطن العربي أن الحاجة ماسة للحوار أكثر من أي وقت مضى. إذ نشهد الصراعات على أشدها بين فريق التكفير وكل من خالفه في العراق وسوريا وليبيا ومصر واليمن والبحرين، ونشهد التوترات والاحتجاجات والتفاوتات الطبقية والاختلافات الفكرية في العديد من الدول العربية ، التي تولد شروخا بين أبناء الشعب الواحد، وبين الحكام والمحكومين ، وبين الشرائح الاجتماعية والطوائف والأقليات، وأقل الأوصاف التي يمكن نعتها بها هي **النقص في الحوار بين الأطراف المتصارعة الذي يعود لنقص في ثقافة تنويرية شاملة.**

---

13 إعلان مبادئ بشأن التسامح اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995
http://www1.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html

وثقافة الحوار هي حجر الأساس لسيادة التنوير لدى قطاعات المجتمع في مواجهة ثقافة التكفير للتوصل عبر الحوار إلى تفاهم متبادل أفضل ،وخصوصا في ظل نمو المعرفة وتدفق المعلومات وانتشار تكنولوجيا الاتصال ، التي وفرت قدرة غير محدودة للوصول إلى المعلومات ، والتواصل بلا حدود ، مع عدم وضوح الحدود بين الأطر المرجعية لدى الناس .

ج. ثقافة التفكير العلمي والتفكير النقدي و التنوير

لا يمكن أن يتم التنوير والنهوض بدون أن يصبح التفكير النقدي والتفكير العلمي هو أداة العقل العربي في مناقشه القضايا ومعالجتها. وهذا يستلزم أن يتم تثوير المناهج الدراسية في المدارس والجامعات وذلك بالنأي عن أسلوب التلقين ، وتدريب الطلبة في جميع المستويات على التفكير النقدي ومناقشة كل ما يستقبلونه بأسلوب علمي، ومن ثم فإن دراسة مناهج البحث العلمي يجب أن تكون أداة من أدوات تدريب الطلاب على اكتساب بالمعرفة ومحاكمة القضايا والمشاكل والأفكار التي يتلقونها. ولا يمكن أن يتم إنجاز ذلك الفهم لدى الطلبة دونما قيام ثورة تعليمية تبدأ بالمعلم من حيث تطوير أدوات تفكيره وأدوات توصيل المعلومات وأدوات التعامل الناجح مع الطلبة .

وخلال ما يقرب من أربعين عاماً أصبحت وزارة التربية رهينة بأيدي من يضعون المناهج ويقررون سياساتها وهم ينظرون إلى أن مسئولية وزارة التربية هي تخريج أفواج من المدارس الثانوية بدون أن يمتلكوا الرؤية النقدية والتفكير العلمي، وإعدادهم بطريقة مستسلمة للتراث دون مراعاة أن بعض عناصره هي عناصر تشد المجتمعات إلى تخلف، وتوفر بعض مكوناتها مبررات للتكفير. وبدلا من النظر في مقومات تراثنا الايجابية ونزوعها للعقل والتفكير العلمي " تركنا مَواطن القوة في تراثنا القديم، حيث أجمع علماء أصول الدين في البدايات العقلية كمصدر للمعرفة وحيث أجمع المعتزلة

والفقهاء على أن العقل أساس النقل، وأن من يقدح في العقل يقدح في النقل. وحيث جعل الأصوليون العقل أو دليل الاستصحاب مصدراً من مصادر التشريع. ثم أخذنا مواطن الضعف في تراثنا القديم حيث كان النقل ما زال مصدراً من مصادر المعرفة عند بعض علماء أصول الدين، حيث اعتبر النقل أساساً للعقل عند بعض الفرق، وكان العقل في حاجة إلى وصي، وكان في أسمى وظائفه عقلاً إشراقياً. وقد تراجع العقل في حياتنا المعاصرة، وظل معدوم الأثر، عاجزاً عن الاقتراب من أي موضوع.وفي ضوء كل هذا فلن نصل إلى عصر التنوير إلا إذا جعلنا للعقل دوره المحوري في بناء الذات والعلم والمعرفة. فإما العقل الذي يملك كل شيء ويطلب البرهان والدليل وإما الخوف والعجز عن الاستدلال والبرهان[14].

ولا يمكن أن يتم ذلك الفهم دون أن يمتلك ما أسماهم حسن حنفي بالمفكرين الأحرار الذين يمكن أن يقودوا حركة التنوير في المجتمع. ذلك أن ما يحرك الأمة ويحرر عقولها وجودة قيادة فكرية حرة راشدة تلعب دورها في تعزيز ثقافة التفكير النقدي ، ورفض كل ما يتجاوز سلطة العقل. فمسئولية التفكير التنويري النقدي هي الاستناد إلى التراث العقلاني الذي يعتز بالعقل كي يعمل على انتشار الأفكار التي تقاوم الأفكار التي تعتمد في تراثنا على النقل دون العقل، مما يجعل المجال مفتوحاً للإبداع أمام الأجيال الجديدة في ظروف الحرية الفكرية والتسامح والحوار أي أننا بحاجة إلى بناء جيل جديد يسلك طريقاً جديداً للتعامل مع الواقع بالاستناد إلى العقل ، ومناقشة التراث قراءة نقدية واعية تفسر التراث وفقاً لمتطلبات العصر. وهذا يعني العمل على ربط التراث الذي يمدنا بهويتنا وقيمنا بواقعنا الذي نعيشه مع متغيرات القرن الحادي والعشرين بحيث نواجه ما أسماه المفكر حسن حنفي بإجهاض العقول حيث يقول : "تبدو مظاهر إجهاض العقول في محاربة المبدعين الشبان، أدباء ومفكرين وعلماء بل ومهنيين وفنيين و«أسطوات» بطرق عديدة مثل منع النشر، ضيق إمكانيات البحث العلمي،

14حسن حنفي نحن والتنوير والعقل :جريدة الاتحاد- أبوظبي: السبت 12 يوليو 2014
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=80140

الرقابة على الفكر، إلغاء المؤتمرات ومظاهر النشاط الجماعي، تقليص منابر الرأي ووسائل التعبير حتى يتقوقع الشبان على ذواتهم، ويجتروا أدبهم وفكرهم وعلمهم لأنفسهم دون أن يجدوا منفذاً لهم في العالم الخارجي.(...) إن الهدف إذن من «إجهاض العقول» هو السيطرة على إمكانيات الإبداع لدى الشعوب ذات التاريخ العريق وإدخالها في النطاق الحضاري للغرب الذي ما زال يمثل بالنسبة لنا التحدي الحضاري الأعظم، حتى تستمر التبعية للغرب والتقليد لنظمه وتبني قيمه ومُثله، ولا إبداع حيث التقليد، ولا خلق حيث التبعية. وبالتالي، تستمر الشعوب التاريخية في النقل عن الغرب، خاصة إذا كان الغرب سريع الإنتاج ولا تستطيع الشعوب التاريخية -كما يقال دائماً- اللحاق به ترجمة أو نقلاً، قراءة أو تمثلاً، وبالتالي تظل لاهثة حتى يتعبها العدْو، فتقف عاجزة، وتصاب بعقدة النقص، وتتحول إلى شعوب تابعة إلى الأبد، مهمتها النقل والاستيعاب دون الخلق والإبداع. ثم يتحول ذلك الوضع إلى تأكيد ملموس للنظرية العنصرية بأن الغرب وحده هو الخالق، وما سواه من الشعوب، على رغم جذورها التاريخية، ليس أمامها إلا التقليد[15].

سادسا: أدوات تحقيق ثقافة التنوير ونشرها وتعزيزها

أ. وسائل الإعلام و ثقافة التنوير

ب. التربية و ثقافة التنوير

ج. التعليم و ثقافة التنوير

أ- وسائل الإعلام و ثقافة التنوير

العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية علاقة تفاعلية فبينما تقوم وسائل الإعلام بضخ مضامينها التي تشكل منتجات موجهة للاستهلاك الجماهيري، إلا أنها تحمل في طياتها قيماً أصبحت تفرض نفسها على جمهور المتلقين وباتت هذه الثقافة الجماهيرية تشكل قيماً تؤثر على المتصلين. ولعل من أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الجماهيرية الآن تنازع شكلين من مضمون وسائل الإعلام وهما مضمون

15حسن حنفي مكيدة إجهاض العقول :جريدة الاتحاد- أبوظبي: السبت 12 أبريل 2014
http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=78493!

الفضائيات الدينية التي بلغ عددها نحو مئة قناة دينية [16] التي أصبحت منبرا للدعاة الجدد وللتكفيريين والمتشددين ، ومضمون المحطات الفضائيات الترفيهية والعامة حيث نشاهد فيها سيطرة الترفيه على مضمون وسائل الإعلام بالإضافة إلى أن الزاد الثقافي الذي تقدمه يكون سطحياً. إن هذه المشكلة ليست محلية فإن وسائل الإعلام الجماهيرية أصبحت تقدم الخبرات الثقافية لمئات الملايين من البشر وتقدم خبرات جديدة من الأجيال الجديدة التي توفر لهم ثقافة جديدة وأشكالاً ترفيهية بدأت تسيطر على وقتهم. ولكن تحول الأمر من هذا الاستعمار الثقافي المباشر الذي يقوم على الدعاية والإعلام إلى استعمار وطني يقوم على محاصرة مَواطن الإبداع داخل الشعوب.

ب -التربية و ثقافة التنوير

يجمع التربويون وعلماء الاتصال أن تربية الفرد وتنشئته الاجتماعية تتم من خلال الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام ورفقاء الطفل، والمؤسسات الدينية التي ينتمي إليها ويرتادها كالمساجد والمؤسسات الاجتماعية كالنوادي وغيرها. وذا فإن ما نراه اليوم من ثقافة تكفيرية عناصرها من الشباب ليست إلا نتاجاً لعوامل تربوية قادت لتوجه هؤلاء الشباب لتبني هذا الفكر التكفيري.

وليس من سبيل إلى نشر ثقافة تنويرية في المجتمع العربي دون العمل على إعداد بناء إنسان جديد، يتم بنشر ثقافة تنويرية تستند إلى العقل والفكر المتسم بالتسامح وحرية الفكر والمعتقد والنهج العلمي والفكر النقدي.

وليس الأمر سهلاً فالتربية عملية طويلة مستمرة ، لذا فهي تحتاج إلى تضافر قوى التنشئة الاجتماعية لتقوم بهذه المهمة. فالأسرة الحاضنة الأولى والمدرسة ووسائل الإعلام والمساجد سيكون لها دورها الفعال في تحقيق ذلك ولكن دورها منوط بإرادة

16انظر: وضع البث الفضائي العربي أكثر من 1320 قناة تلفزيونية فضائية موجهة إلى المنطقة العربية "في التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي" نسخة 2012 – 2013 اتحاد إذاعات الدول العربية http://www.asbu.net/doc.php?docid=101&lang=ar

الحكومة التي يجب أن تتبني مسئوليتها في خلق ثقافة تنويرية، وباعتمادها على ذوي العقول النيرة والفكرين الأحرار صانعي التغيير. وهي مهمة باتت صعبة في ظل ظروف الاتصال المفتوح حيث هناك نحو مئة محطة فضائية دينية متخصصة، ناهيك عن البرامج الدينية العديدة في المحطات العامة . وكذلك صعوبة السيطرة على الانترنت الذي أصبح متاحاً للجميع ويوفر مواقع عديدة للفكر الديني المتشدد والأصولي والتكفيري وبعض هذه المواقع كما نعرف أصبحت وسيلة هامة لتجنيد الشباب للمشاركة فيما أطلق عليه أسم الجهاد والذي آل إلى يقاتل المسلم أخاه المسلم في سوريا والعراق واليمن وليبيا ومصر.

وجاء في المادة الثالثة في إعلان المبادئ بشأن التسامح بأنه ضروري بين الأفراد وعلي صعيد الأسرة والمجتمع المحلي، وأن جهود تعزيز التسامح وتكوين المواقف القائمة علي الانفتاح وإصغاء البعض للبعض والتضامن ينبغي أن تبذل في المدارس والجامعات وعن طريق التعليم غير النظامي وفي المنزل وفي مواقع العمل. وبإمكان وسائل الإعلام والاتصال أن تضطلع بدور بناء في تيسير التحاور والنقاش بصورة حرة ومفتوحة، وفي نشر قيم التسامح وإبراز مخاطر اللامبالاة تجاه ظهور الجماعات والأيديولوجيات غير المتسامحة...[17]

ج-التعليم و ثقافة التنوير

إعادة النظر في العملية التعليمية هو الركن الأساسي في بناء الإنسان العربي، فالمناهج المقررة وأسلوب التدريس ونوعية المدرسين وطريقة إعدادهم كلها عوامل أساسية لبناء عملية تعليمية مستنيرة. فإن إعداد مناهج تعد الإنسان على أساس التفكير النقدي والتواصل مع التراث بطريقة نقدية التي تقود إلى حرية الفكر

[17] إعلان مبادئ بشأن التسامح اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995
http://www1.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html

والتسامح، وكما جاء في بيان اليونسكو حول التسامح : "إن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح ، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات فضلا عن تعزيز عزمهم علي حماية حقوق وحريات الآخرين. وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع علي اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية - أي الجذور الرئيسية للعنف والاستبعاد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الاثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين الأمم.

إن التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلي الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة النشء علي تنمية قدراتهم علي استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي.

إننا نتعهد بمساندة وتنفيذ برامج للبحوث الاجتماعية وللتعليم في مجال التسامح وحقوق الإنسان واللاعنف. ويعني ذلك ايلاء عناية خاصة لتحسين إعداد المعلمين، والمناهج الدراسية، ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية بما فيها التكنولوجيات التعليمية الجديدة بغية تنشئة مواطنين يقظين مسؤولين ومنفتحين علي ثقافات الآخرين، يقدرون الحرية حق قدرها، ويحترمون كرامة الإنسان والفروق بين البشر، وقادرين علي درء النزاعات أو على حلّها بوسائل غير عنيفة.[18]

[18] إعلان مبادئ بشأن التسامح اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995
http://www1.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html